

# مسلسل الموسم «غداً نلتقي»

## ... وأزهرت جراح شعبي في الدراما الرمضانية

وسام كنعان

يرى الفيلسوف الفرنسي هنري بيرغسون أن الإمكانية متاحة للوصول إلى الحقيقة فقط عن طريق «الخبرة الحدسية» التي يتمكن الفنان من إيصالها في عمله، إذا كانت مادته تنتمي إلى «الحركة الرمزية» التي نشأت في مواجهة الواقعية الفنية. يبدو الكلام فضفاضاً إذا انسحب على الدراما التلفزيونية التي باتت تلتزم منطلق السوق الأهوج، أو تعتصم عند مواضيع «السيكس» المجانية، وصراعات رؤوس الأموال. لكن الكلام ذاته ينطبق على المسلسل السوري «غداً نلتقي» (الإمارات- أبو ظبي- lbc- ldc) إخراج رامي حنا الذي تشارك الكتابة مع الممثل إياد أبو الشامات). في أول تجربة لهما، يثبت الكاتبان أن الدراما السورية ليست كذبة، أو طفرة فات أوانها.

من يعرف رامي حنا، يدرك أن الرجل فهم اللعبة باكراً، وأيقن أن الأضواء وحدها لا تصنع مبدعاً. لذا، انسحب من التمثيل نحو الإخراج فصنع أعمالاً مهمة مثل «عنتر» (كتابة غسان زكريا . 2007)، و«زهرة النرجس» (كتابة خلدون قتلان .

2008) ثم حقق صدى عربياً كبيراً من خلال مسلسل تجاري هو «روبي» (كتابة كلوديا مرشيليان . 2012). بعد ذلك انكفأ بحثاً عن تجربة جديدة، عساه يقارع النيران التي اندلعت في بلاده. إذا به يعود إلينا بخيار مدهش تمكن منذ حلقاته الأولى من أسر المشاهد، وتحقيق نقلة نوعية في ما يخص دراما الأزمة. لعب الممثل والمخرج السوري على الطريقة الرمزية للشخصيات وتاريخها. بل ترك الباب موارباً أمام احتمالات تأويلية متباينة، بحيث يمكن لكل متفرج أن يفك شيفرة هذه الرموز وفق وعيه وإدراكه وتماسه مع الجرح السوري الذي نراه معمماً في «غداً نلتقي» على كل مستضعفي العالم. بلغة شاعرية، يجزب حنا الوصول إلى مقولاته من دون طرحها بشكل مباشر وفتح، بدءاً من الإشارة التي يلتقط فيها صوراً وثائقية صادمة من الحرب ثم يركب عليها بأسلوب كاميرا الأطفال شخصيات مسلسله، ويترك خيار الموسيقى لإياد



مكسيم خليك وكاريس بشار في مشهد من المسلسل

### بالأسود والرمادي

يعتصم المسلسل عند خيار الإضاءة العتمة واللونين الرمادي والأسود في الكثير من مشاهد. وهو بذلك يتخلى عن رمزيته ليأخذ منحى واقعياً مقصوداً يراد منه تكريس حالة العتمة التي تسور الشخصيات كما هي، والتلميح إلى غياب الضوء الذي يعلن نهاية النفق الذي دخله السوريون. لكن الخيار خلف انطباعاً سيئاً عند المتابع وأفقده متعة المشاهدة بسبب المبالغة الزائدة في الإضاءة الخافتة. في المقابل، سببت لقطات الفلاش باك لوردة بعد وصولها فرنسا بدءاً من الحلقة الـ 18 إرباكاً لدى جزء من الجمهور. علماً أنه كان يُفترض افتتاح المسلسل انطلاقاً من هذه المشاهد، لكن تأخر صدور التاشيرات لفريق المسلسل، أجبر مخرجه على تأخير هذه المشاهد. الأخيرة أسهمت في مكان معين في تعويض غياب الأحداث في تلك الحلقات، فيما يؤخذ على العمل ضعف التبرير الدرامي للتطور اللافت والمفاجئ في شخصية أبو عبدو، واتجاهها إلى التطرف الديني، في وقت غير مقنع، ربما كان من الأجدي ربط هذا الانقلاب في شخصيته بوفاة أخيه (علي كريم) بسكتة قلبية مثلاً.

الزيت على حرافقها الملتهبة. يبرز أداء الممثلين كورقة رابحة (راجع الكوار). يختار رامي حنا لعب دور لشخصية كأنه استعارها من الأدب الروسي عن رجل يبحث في كومة البؤس تلك عن يملك شجاعة قتله. كل ما سبق كان أكبر من قدرة محطة مثل mtv على الاستيعاب، فما كان منها سوى أن استلقت سيف ضغينتها بعد بضع حلقات، وقررت أن تخرض ضد الفن. على أمل إيقاف المسلسل الذي اتهمته زوراً وبهتاناً بالعنصرية ضد اللبنانيين لأنه يمر في لمحات عابرة على جزء يسير مما عاناه النازحون في هذا البلد (الأخبار 2015/6/24).

الخيار الدرامي الناجح يوضح تأثر مخرج العمل بالمعلم الصربي أمير كوستورينسا وحرفيته بمزج التراجيديا مع الكوميديا السوداء، واستخلاص الأخيرة من عمق الأولى، وإجبار المتفرج على الضحك حتى عندما يقدم له ذروة مأساته.

النجمة سلافة معمار إن هذا المسلسل هو الوحيد الذي تتابعه خلال شهر رمضان. من جانبه، نقل المخرج المرموق حاتم علي تهنئته لفريق العمل وجهاً إلى وجه كونه يحافي عالم «السوشال ميديا» بشكل قطعي. وأعرب عن شغفه بهذا المسلسل، وهمس لعبه الهادي الصبغ بالقول: «تجسد شخصية نرفع بها رأسنا». وفي محادثة هاتفية عابرة، صرح لنا أن نجم جمال سليمان عن إعجابه بمسلسل يقدم سوية عالية اسمه «غداً نلتقي».

لكن النجم سامر المصري سبق كل زملائه فكتب مطلع شهر رمضان على صفحته الشخصية على فايسبوك تحية إلى رامي حنا وشريكه أبو الشامات ليكون «العكيد» أول من قرأ أهمية وغنى المسلسل منذ الحلقات الأولى.

للشخصية، في أحد أدوارها الفارقة. تجتهد لتوضب مفردات أعلامها الصغيرة، ثم نراها تسبك من أدوات بسيطة سينوغرافيا بيت نظيف ومرتب رغم فقره المدقع، كونها تعتبر وطنها كل مكان تطاه قدماءها. تسير الأحداث وفق مشاهد بصرية عالية هي ليست سوى قصص قصيرة تصل في نهايتها إلى ذروة درامية بأسلوب رشيق، يمشي بمحاذاة الكارثة الإنسانية للسوريين، وبخلاف مع الرؤية الكلاسيكية للبناء الدرامي بتعقيد الأحداث مع تتالي الحلقات. هكذا، نصل إلى لحظة مصيرية يشتعل فيها بيت وردة بمن فيه أي الشقيقان المختلفان على امرأة. هذا في الظاهر، لكن حقيقة العراك تعكس خلاف شعب بكامله، كأن المشهد يريد القول بأن وردة هي رمز معادل لسوريا المستمرة في تغسيل وتكفين أمواتها يوماً بعد يوم، فيما أسهم أهلها الموالون والمعارضون في صب

الذي هرب من جحيم الحرب خائفاً من الالتحاق بالجيش، واعتقد أنه يحيي بلاده عندما قرر التبليغ عن شباب التنسيقيات. نقاشات تعكس حالة الشقاق السياسي، وظفها صنّاع العمل برمزية تعلق الشقيقين بفتاة أحلامهما المنشغلة بإخفاء

### وردة هي رمز معادل لسوريا المستمرة في تغسيل وتكفين أمواتها

مهنتها بتغسيل الأموات وإرسالهم انقياء إلى عالم أفضل من العالم الذي نعيشه، كما يقول محمود في واحدة من سكراته عند باب صديقته. تضيق البطلة ذرعاً بكل من حولها، فتقرر مواجهة البؤس المحيط بها، وتتخذ من الصراخ المطلقه منبر نجاة وحيد. هنا توظف كاريس كل إمكانياتها لإظهار العوالم الداخلية

الريماوي، فيطغى الوجد الذي يبثه الكمان، فتتفق الموسيقى بالمجمل مع شخوص المسلسل، مروراً بمشاهد بالغة الدلالة كأن نسمع بطلة المسلسل «وردة» (كاريس بشار) مغسلة الأموات، وهي تخبر الشاعر الصعلوك محمود (عبد المنعم عمالي) كيف ارتبطت أغنيات فيروز بطفولتها المسحوقة وصباحات عائلتها الباردة والفقيرة. وهو ما جعلها تعزف عن سماعها لاحقاً، لكنها في المقابل تترك رنة هاتفها ملكاً لصاحبة الصوت الملائكي بأغنية «حكلي حكلي عن بلدي حكلي». طيلة مفاصل المسلسل، نراقب اختصاراً مكثفاً لخلاف أهل البيت السوري الواحد، من خلال نقاشات حامية بين الشقيقين المهاجرين محمود الشاعر والصحافي المعارض الذي يعتقد أنه سيجابه بالموت في المعتقلات لو قرر العودة إلى الشام، وجابر بائع الأقراص المدمجة المتنقل (مكسيم خليل) المؤيد

## أهل الكار استقبلوه بحفاوة فايسبوكية



إياد أبو الشامات

جزءاً متناغماً ضمن الكل. كذلك كتب النجم قاسم ملحو تعليقات متتالية على صفحته الخاصة على فايسبوك أشاد فيها بهذا المسلسل وأثنى بشكل خاص على «بهاء

حوار صحافي عن مدى إعجابها بهذا العمل وتميزه واختلافه عن غيره. كذلك، أعربت مخرجة «عزلان في غابة الذئاب» عن إعجابها بمواظنتها كاريس بشار وهي تجسد دور «وردة» فيما كتب المخرج أحمد إبراهيم أحمد رسالة فايسبوكية توجه بها إلى رامي حنا بالقول: «الذي يعرفك عن قرب يدري بأن هذا المنجز جزء من روحك الجميلة والشفافة، وهذا التأمل هو فيض من ذاك الإبداع. أتحتفتنا بأيقونة سنظل نفتخر بها ونقول نحن هنا... كما أنك حرصت أن تسرع، عسانا نواكب خطاك أو علنا نجاريك. حفرتنا وستجعلنا نترتث كثيراً قبل أن نقدم على أي تجربة فنية جديدة». واستطرد مخرج «عناية مشددة» موجهاً الشكر للكاتب إياد أبو الشامات وللممثلين يراهم للمرة الأولى

لم يسبق لعمل سوري قبل «غداً نلتقي» أن حقق هذا الإجماع المطلق من قبل الجمهور والنقاد ومن ثم زملاء المهنة الواحدة أي الممثلون والمخرجون ومنافسون يطرحون مسلسلاتهم في الموسم نفسه. هكذا، سمعنا للمرة الأولى كتاباً مكرسين وهم يعبرون عن حالة يأس حقيقية بعد مشاهدتهم لهذا العمل، لأنهم لمسوا الفرق بين ما قدموه خلال الفترة الماضية وبين سوية النص الحقيقي الذي يحمل على عاتقه همّ التوثيق الإنساني والمعاناة التي خلفها الزلزال، من دون أن يسقط من يده الترفيه والمتعة التي يقترحها التلفزيون. أيضاً، رأينا اعترافات صريحة من مخرجين قلما يعترفون بهذه الشفافية بأي منجز ثري لأي أحد. على سبيل المثال، صرحت المخرجة السورية رشا شربنجي في